الشخصية الفلسطينية
في المسرحية العبرية المعاصرة
"دراسة وصفية تحليلية"

أ.د.محمد فوزي ضيف (*)

في هذه الدراسة:

"كيف كانت الشخصية الفلسطينية في المسرحية العبرية الحديثة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣، والانتفاضتين الفلسطينيتين الأولى والثانية؟

كيف أصبحت الشخصية الفلسطينية في المسرحية العبرية المعاصرة بعد هذه الأحداث المركزية في الصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟

ما هي الصورة الذهنية للشخصية الفلسطينية لدى المسرحيين الاسرائليين في ظل الاحتلال الاسرائيلي المستمر للمناطق الفلسطينية؟

يُعني الباحث بالرد على هذه الأسئلة في دراسته لمسرحيات مختارة من أعمال حانوخ ليفين، إيلان حتسور، تامير جرينبيرج وجلعاد عفرون.

كلمات مفتاحية: حرب يوم الغفران.الانتفاضة الفلسطينية الأولى. الانتفاضة الفلسطينية الثانية. ملكة الحمام. قتل. ملثمون. الخليل. يوليسس على زجاجات.

مقدمة:

هناك تغيرات كثيرة طرأت على طريقة عرض صورة العربي، وعلى تناول الصراع اليهودي العربي، في المسرحية العبرية بعد حرب يوم الغفران وتوقيع معاهدة السلام مع مصر، كما

* – أستاذ الأدب العبري الحديث والمعاصر –كلية الآداب – جامعة المنوفية.

حدث تغير مماثل في عرض صورة الفلسطيني "من المناطق" خلال الثمانينيات وحتى نهاية الثمانينيات، وخلال التسعينيات، في أعقاب اتفاقيات أوسلو[١]، حيث ظهرت شخصية الفلسطيني شخصية واقعية، ولم تعد شخصية ثانوية بل أصبحت شخصية رئيسية في مسرحيات كثيرة[٢].

وكانت الانتفاضة الفلسطينية الأولى (٩ ديسمبر ١٩٨٧– ١٣ سبتمبر ١٩٩٣) نقطة فارقة بين صورة الفلسطيني النمطية وشخصيته الثانوية في المسرحية العبرية وبين صورته غير النمطية وشخصيته الرئيسية والمحورية في المسرحية العبرية، أصبح ندا للشخصية الاسرائيلية يتربص بالجندي الاسرائيلي الذي قتل ابنه ويرديه قتيلا مهما طال الوقت.

وبعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية (٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠– ٨ فبراير ٢٠٠٥) توالت المسرحيات العبرية التي صورت الشخصية الفلسطينية بملامح قوية أبية تتميز بالاصرار على مواصلة النضال والتصدي للمحتل مهما كانت التضحيات، وبرزت شخصية الفلسطيني المناضل العنيد المنتقم من القتلة المحتلين ومن الخونة، ضعاف النفوس الذين يتعاونون مع الاحتلال.

فكيف كانت صورة الفلسطيني في المسرحية العبرية قبل هذه الأحداث المركزية في تاريخ الصراع الاسرائيلي الفلسطيني؟ وما هي الصورة التي أصبحت عليها الشخصية الفلسطينية في المسرحية العبرية بعد ذلك؟

صورة العامل المسكين في مسرحية "ملكة الحمام":

قدم الكاتب المسرحي الاسرائيلي حانوخ ليفن (١٩٤٣– ١٩٩٩) في مسرحيته الشهيرة "ملكة الحمام" (**מלכת האמבטיה**)[٣] الفسلطيني في صورة عامل مسكين باسم "سمتوكا" يعمل في مقهى اسرائيلي، يسخر منه أصحاب ورواد المقهى اليهود ويتهكمون عليه، وهو يبدو كدمية في أيديهم ورهن إشارتهم، يذهب إلى المطبخ، كما يأمرونه، لغسل الأطباق الكثيرة المتسخة، وتظهر لنا سمات شخصية سمتوكا وملامحه من المشهدين التاليين في المسرحية:

المشهد الأول:

(طوفيلا ويوفيلا امرأتان اسرائيليتان تجلسان في مقهى على الرصيف. سمتوكا يرفع أواني متسخة من الموائد).

طوفيلا: ها هو سمتوكا. إنه العربي الذي لدينا.

سمتوكا حكيم ومطيع ولا يؤذي اليهود. يعرف كيف يقف على قدمين مثلنا.

(سمتوكا الذي يقف على قدمين، لايعرق. إنها تأمره)

طوفيلا: على اثنتين يا سمتوكا! على اثنتين!

هل ترين يا يوفيلا كيف يقف على اثنتين؟

إنه يحب ذلك جدا. هذا يعطيه الاحساس بأنه مثلنا تقريبا. في المنزل فقط هو مضطر للمشي على أربع، ليس لأنه يريد ذلك، ولكن ببساطة بسبب مستوى ارتفاع السقف[٤].

تتهكم اليهوديتان على العامل الفلسطيني "سمتوكا" بأنه يقف على قدمين مثلهما، ولكنه في المنزل يمشي على أربع لأن منزله متواضع ومنخفض السقف..

المشهد الثاني:

(منوحا وشلفا صديقان اسرئيليان يمران في الشارع، يتوقفان)

شلفا: هاهو سمتوكا واقف في الخارج. ماذا سيحدث يا سمتوكا؟ بالامس قنبلة في السوبرماركت، هذا الصباح في مكاتب مسرح الكاميري، ماذا سيكون في النهاية؟ (فاصل موسيقي قصير).

منوحا: أنت تعلم أنه لا علاقة له بالقنابل.

شلفا: بالتأكيد، لكن لو كنت رجلا بدائيا ما كنت سأفرق بين عربي يضع قنابل وعربي لايضع قنابل، العربي هو العربي.

شلفا: (سمتوكا): أتعرف أننا نستطيع أن نضربك إذا أردنا ذلك؟ (فاصل موسيقى قصير) أتعرف أننا نستطيع أن نحطم عظامك؟ (فاصل موسيقى قصير)

منوحا: إنه يقف منحنيا مطأطأ الرأس، هذا يعني كل شيء.

شلفا: لا، هذا لا ، لديه فم، لا ينبغي أن أستخرج منه الكلام بالقوة.

منوحا: بدون عصبية يا شلفا.

طوفيلا: انظروا كم هو جميل وهو يقف على اثنتين.

شلفا: أنا أعرف أيضا زنوج يقفون على اثنتين، إذا ماذا؟ هذا لا ينطلي عليّ. العربي المحترف مثل سمتوكا يجب عليه أن يرد عندما أبرهن له كيف لا نحطم رأسه لأننا أناس متحضرون.

منوحا: لا تغضب يا شلفا..

(يقول لسمتوكا): يجب أن تشكره على الأقل. أعتقد أننا نستحق ذلك

شلفا: أن تقول شكرا لا يكلفك نقودا ! انظر إلى عينيه.

منوحا: ماذا بهما؟

شلفا: لديه

منوحا: ماذا؟

شلفا: عينين. لديه عينين هذا الحقير. لا يهمني أن لديه عينين، على الأقل كان يعرف كيف يقدر ذلك، ولكنه يعتقد أن هذا طبيعي. إنه يقول لنفسه ماهو أكثر طبيعي من ذلك أن لدي عينين، إنني أرى بيوتا، أرى ثمارا ! لأننا شعب متحضر وإنساني لا نحرق عينيه بعد تفجير مكاتب مسرح الكامري، هذا عموما لا يدور في تفكيره.

منوحا: أنا لا أفهمك هل تريد أن تدمر قلبك بسبب سمتوكا؟!

الآن والدولة تحتاج ليهود معافين؟!

شلفا: أنا واثق من أنه لايذكر حتى كيف تبدو الضربة.

منوحا: تعالى يا سمتوكا، أخبره كيف تبدو الضربة وتنهى ذلك. (فاصل موسيقى سريع)

كيف تبدو الضربة يا سمتوكا (فاصل موسيقى سريع)

شلفا: قلت لك ماذا؟

منوحا: (بصوت يخرج بصعوبة) نسألك سؤالا يا سمتوكا. كيف تبدو الضربة؟

سمتوكا: الضربة تبدو مثل أختي– كلانا خرجنا من نفس المخرج.

منوحا: (لـشلفا) هذا جيد. هل ترى مع هذا كله؟

شلفا: لاتخدع نفسك. لن يذكر أحد أنه من الأفضل أننا كبحنا جماح أنفسنا. إنني إنساني،
لكن ما أتخطاه هنا يحطم قلبي.

منوحا: يجب أن نفخر بكبح جماح أنفسنا.

شلفا: نفخر، نفخر، لكن هذه ليست ضربات!

منوحا: يا شلفا، كفى، بدأت تثيرني.

شلفا: (فجأة) ساعدني ألا أنفجر. ساعدني بسرعة!

منوحا: ساعدني حتى لا أفعل له شيئا!

شلفا: أنت ساعدني.

منوحا: أنا أساعدك وأنت تساعدني.
(يمسك كل منهما الآخر. وقامت يوفيلا تفصل بين الصديقين وبين سمتوكا)

يوفيلا: من حقي، كأم لثلاثة أولاد أحدهم جندي مقاتل، وأنا كإبنة لوالدين من الكارثة النازية، أن أقول: لا تلحقوا بالعربي الضرر، توجد أطباق كثيرة متسخة في المطبخ. هذا ما أقوله لكم بوصفي أما لثلاثة أولاد أحدهم جندي مقاتل وابنة لوالدين ناجيين من الكارثة النازية.

طوفيلا: أوكي يا سمتوكا، تستطيع أن تعود إلى المطبخ. (بدأ سمتوكا الذهاب إلى المطبخ).
على اثنتين يا سمتوكا! على اثنتين يا سمتوكا! هوب هوب.
(تضحك طوفيلا قائلة ليوفيلا): مثلنا تماما[٥].

انتهى المشهد الأول بتهكم الاسرائيليتين، طوفيلا ويوفيلا، على سمتوكا، والسخرية منه وهو يقف على قدميه مثلهما، ويمشي على أربع في منزله لانخفاض السقف، ثم يبدأ الحوار في المشهد الثاني بين الصديقين منوحا وشلفا، في حضور طوفيلا ويوفيلا، ويصعد الكاتب من لهجة الحوار بين الاسرائيليين وبين سمتوكا وكأنهما محققان يحققان معه حول الانفجارات التي ستحدث في اسرائيل من جانب الفلسطينيين (ماذا سيحدث يا سمتوكا؟ ماذا سيكون في النهاية؟) والعربي الفلسطيني هنا متهم في نظر الاسرائيليين سواء وضع قنابل أو لم يضع، وهو ضعيف مُهان مطأطأ الرأس. يستطيع الاسرائيلي أن يضربه وأن يحطم عظامه.

يسكت سمتوكا ولايرد على شلفا ومنوحا فيثير أعصابهما وهما يشعران بأنه ينبغي عليه أن يشكرهما لأنهما من "شعب متحضر"، ولم يحرقا عينيه بعد تفجير مكاتب مسرح الكامري. وهنا تتدخل يوفيلا لتفصل بين الصديقين وبين سمتوكا، وتطلب كصاحبة حق في ذلك، لأنها أم لثلاثة أولاد أحدهم جندي مقاتل، ولأنها ابنة لوالدين من الناجين من أحداث النازي، عدم إلحاق الضرر بسمتوكا لا لأنه برىء من عمليات التفجير، ولكن لأنه "خادمهم" فيجب أن يذهب إلى المطبخ لكي يقوم بغسل الأطباق الكثيرة المتسخة به.

وتُنهي طوفيلا المشهد بطلبها من سمتوكا الذهاب إلى المطبخ، وتنهكم عليه من جديد: "على اثنتين ياسمتوكا، هوب، هوب".

صورة الفلسطيني في المسرحية العبرية بعد الانتفاضة:

فرضت الانتفاضة الفلسطينية نفسهاعلى المسرحية العبرية الحديثة والمعاصرة، مثلما فرضت نفسها على الأنواع الأدبية العبرية الأخرى، شعرية ونثرية، وأصبح الفلسطيني في المسرحية العبرية طرف صراع بارز في مواجهة المحتل الإسرائيلي، كصورة منعكسة على مرآة الحياة، في واقع الصراع العربي الإسرائيلي في الأراضي المحتلة، بعبارة أخرى لم يعد الفلسطيني العامل المسكين سمتوكا[٦]، الذي يتهكم عليه أصحاب ورواد المقهى الاسرائيليون ويضحكون عليه، أو والد طفل من أطفال الحجارة يقف عاجزا حزينا بعد مقتل ابنه على

أيدي جنود الاحتلال، بل أصبح شخصية إيجابية فاعلة في الصراع الفلسطيني الاسرائيلي انعكست في المسرحيات العبرية في صور متعددة، منها صورة رجل قوي العزيمة يصر على الانتقام من قاتل ابنه ويطلق النار بلا خوف أو تردد على القاتل الاسرائيلي وذويه فيرديهم قتلى، أو صورة قاتل لشقيقه الذي اتهم بالتعاون مع المحتل، أو قاتلا لرمز من رموز سلطات الاحتلال بشجاعة وإصرار في صورة بطل منتقم.

الشخصية الفلسطينة في مسرحية "قتل"

١- الطفل الفلسطيني قتيلا:

في مسرحية قتل "הרצח " للكاتب المسرحي حانوخ ليفين، وتحديدا فى أحد مشاهد الفصل الأول، نقف على قتل طفل فلسطيني، فى الانتفاضة على أيدى ثلاثة من جنود الاحتلال الاسرائيلي ، يدخل أبو الطفل ويدور هذا الحوار بينه وبين الجنود:

- **الأب** : من رأى ابنى ؟

(قام جنديان من فوق جثة الطفل .الجندي الأسمر يخفي السكين)

- **الجندى الأحمر**: تقصد هذا ؟

- الأب: أنا لا أعرف. لا أرى من هنا. أخشى أن يكون هذا هو. ماذا أفعل اذا كان هو؟

(يقترب من الجثة ويتعرف على ابنه)

- آه...

(ينحنى على الجثة. ينتحب)

آه، ياولدى، يا ولدى، ما العمل ؟

(ساكتا ينظر إلى الجنود)

أعتقد أنه فى حاجة إلى الطبيب.

- **الجندى الأحمر**: إنه ميت.

الآب: ميت؟ إبنى والموت ؟

قم يا ولدى، قم يا ولدى!

قم ياولدى افتح عينيك.

ها أنذا أبوك يا ولدى!

يا ولدى قل لى كلمة !

- **الجندى الأحمر**: إنه ميت.
- **الجندي الأبيض**: هذا واضح.
- **الأب**: (ساكنا للحظة على جثة الطفل يرفع نظره إلى الجنود)

لماذا ؟

الجندى الأحمر: لا مجال هنا لـ لماذا. أنت تفهم بنفسك.

جئنا هنا لنعمل تفتيش. وقد عارض. حاولنا تهدئته. ولم يهدأ. سب وضرب. فجأة استل سكينا . حدث صراع. وقد سقط، وفى النهاية مات[٧]

هكذا يسقط الطفل الفلسطيني الأعزل قتيلا على أيدى جنود جيش الاحتلال الاسرائيلى الذين قاموا بتعذيبه وفى النهاية أردوه قتيلا.

- **الأب**: انظروا ماذا فعلتم لولدى. أنظروا وجهه. كيف دمرتم طفلا جميلا كهذا. من لم يحبه. وهنا طعن في الظهر. هناك من طعنه في الظهر ولم يره. هناك من ضربه من الوراء وحطم رأسه. ليس هناك مكان لم تضربوه فيه.
- **الجندى الأحمر**: اذهب ادفنه. حدث ما حدث. كفى. لا تضايق. إنه ابنك. ولكنه ميت. لديك بالطبع آخرين. أو سيكون لديك. العالم مليئ بالأولاد[٨].

الأب الفلسطيني المنتقم نداً للاسرائيلي

سقط طفل الانتفاضة الفلسطيني قتيلا بعد هجوم وحشى مسلح عليه من الجنود الثلاثة، فى الفصل الأول من المسرحية، ولكن في الفصل الثانى يسقط أحد الجنود القتلة، في يوم زفافه، على شاطئ البحر، قتيلا على يدى أبى الطفل الفلسطيني القتيل، وهنا تظهر شخصية

الفلسطيني، فى الصراع الذي يصوره الكاتب في المسرحية، في صورة البطل القوي المنتقم والند العنيد للقاتل الاسرائيلي.

بعد مرور ثلاث سنوات، وفى أمسية صيفية على شاطئ البحر، يدخل العريس والعروس، شابان صغيران، معطران ويضحكان، يبتعدان عن أصوات الفرحة لكى يكونا معا وحدهما، لكن يفاجئهما أبو الطفل الفلسطيني ويدور بينهم هذا الحوار:

الأب: احكى لى – ماذا كانت كلماته الأخيرة ؟

العروس: مَنْ هنا ؟

الأب: (يقترب . مسدس مرفوع في يده)
أنا الذى بقيت مع الجثة.
أنا الذي استندت عليه
عندئذ لم أبك. ذهلت فقط.
بعد أن ذهبتم بدأ البكاء.. لم يتوقف حتى الآن.

العروس: لا تقل. هذا يوم عرسنا.

الأب : ذات مرة كان هذا منذ فترة. (أى كان لنا عرس مماثل). أنجبت لها ولدا...

العروس: ماذا تريد؟ هل هذه عملية سطو؟ هل تريد المجوهرات ؟

الآب: كونا هادئين. إذا حاول أحدكما الهرب سأطلق النار.

العروس: كل الضيوف هناك

الأب: لن يسمع أحد الفرقة الموسيقية – هدير الأمواج.
لقد ابتعدتم كثيرا . (للعريس) هل تذكرنى؟
قبل ثلاث سنوات. الطفل الذي قتل في الطابق السفلى. وأنا أبوه. أدخل فأرى ثلاثة جنود فوق جثته.

العريس: أنا لا أعرف عما تتحدث.
إنك تشبهني بشخص آخر.

الأب: أنت. شال أحمر كان حول رقبتك.

العريس: لم يكن لى أبدا شال. أنا لا أضع شالا حول رقبتي.

صحيح أن عيني ضعفتا، وذاكرتي تخونني، واستولت علي الشيخوخة، لكنني أتذكركم بوضوح. لن أنساكم أنتم الثلاثة. وأنتم فوق جثة ولدى[٩].

تتدخل العروس فى الحوار وتؤكد لوالد الطفل أن عريسها ليس هو الجندى الذى يتحدث عنه، وتسأله: بأي حق تأتى وتفسد علينا ليلتنا؟ من أنت كي تخرب حياتنا؟"

لا تجدى محاولات العريس للتهرب مما فعل فذاكرة الأب الفلسطيني قوية وحادة وهو مصمم على قتله.

العريس: اذا كان الأمر كذلك، فلن يساعدنى شيء. ستقتلني في كل الأحوال.

الأب: نعم سأقتلك[١٠].

يطلق الأب الفلسطيني النار على العريس. يسقط العريس. وتطلق العروس صرخة فيقفز الأب ويغلق فمها. بذلك يصل الصراع من جانب الأب الفلسطينى إلى الذروة بقتل العريس، الجندى الأحمر، أحد الجنود الثلاثة الذين شاركوا في تعذيب وقتل ابنه[١١].

كان من الممكن أن ينتهى الصراع فى المسرحية عند هذا الحد، إلا أن الكاتب لجأ إلى تطوير الصراع إلى ما هو أكثر من ذلك بقتل العروس[١٢]، وإن كنا قد رأينا هذا الأب يشعر بعد ذلك بحالة، ضعف وندم[١٣].

الأب : أنت تمزقين قلبى يا ابنتى، يا ابنى يا أولادي[١٤]

وفي نهاية الفصل الثالث والأخير من المسرحية، يظهر رجل عجوز محبط يردد بصوت ضعيف كأنه يرنم بأغنية: أبى أ..بى أ..بي، وقد التقاه الجندى الأبيض، الذى أصبح مدنيا ويضع نظارة معتمة على عينيه، ويقول له: أنت الأب، أبو الطفل الذي قتلناه آنذاك، أنا لا أراك. أصبت بالعمى فى الحرب التالية (حرب لبنان ١٩٨٢) ولكننى مدين لك بإجابة :

"إبنك لم يسب، لقد بكي، ولم يستطع التوقف عن الارتعاد. كانت كلماته الأخيرة التى ستظل تحفر فى عقلى طيلة حياتي: ارحمونى، أريد أبى"[١٥].

لعل هذا الاعتراف من جانب الاسرائيلى العجوز للأب الفلسطيني جاء منه بمثابة محاولة للتطهر من ذنب المشاركة في قتل الطفل الفلسطيني، عندما كان مجندا فى جيش الاحتلال. من ناحية أخرى يشير الكاتب الاسرائيلي دان أوريان إلى أن "هناك جوانب عنيفة فى صورة المجتمع العربي الاسرائيلي والفلسطيني في المسرحيات التى كتبها مسرحيون من ذوى الميول الليبرالية فى اسرائيل، وأن السكين قد ظهرت فى عدد من المسرحيات، وبخاصة لدى الكتاب الشبان، كأداة فى المسرح تصور العنف في المجتمع الفلسطيني والعربي الاسرائيلي. وتظهر مسرحية "ملثمون" "**רעולים**" للكاتب إيلان حتسور[١٦]، عام ١٩٩٠، من بين هذه المسرحيات"[١٧].

شخصية الفلسطيني في مسرحية "ملثمون" "רעולים":

تروى مسرحية "ملثمون" قصة ثلاثة أشقاء فلسطينيين يعيشون حالة درامية للغاية، وتجرى أحداث المسرحية في أيام الانتفاضة الأولى.

الشقيق الأكبر، بين الأشقاء الثلاثة، "داود"، متهم بأنه يتعاون مع الشاباك (المخابرات الاسرائيلية العامة)، والشقيق الثانى، "نعيم"، عضو فى "لجنة العمل"، التى تقوم بمواجهة الجيش الإسرائيلي، وتقوم أيضا بتطهير صفوف الشعب الفلسطيني من "المتعاونين" والوشاة وأشباههم، وبينهما الشقيق الأصغر خالد. يعمل داود في تل أبيب لإعالة نفسه والعائلة كلها، أما نعيم فهو مطلوب من قبل الجيش الاسرائيلي بسبب نشاطه ضد الاحتلال.

وقد هرب نعيم من القرية وعاش فى الجبال، أما خالد فيحاول تحقيق الصلح بين شقيقيه.

يطرح نعيم أسئلة عديدة على داود ليتأكد من تهمة تعاونه مع الشاباك والجيش الاسرائيلي، قبل أن تأتي لجنة العمل لتحقق معه وبعد مراوغات كثيرة يعترف داود فيقتله نعيم جزاء خيانته.

المكان والزمان:

مكان المسرحية : قرية كبيرة فى الضفة الغربية لنهر الأردن، مخزن محل جزارة فى القرية، بدون نوافذ، بابه على الجانب الأيسر، حائط خلفى داكن عليه بقع من الدم، خطاطيف لتعليق اللحم وإعداده، صوف، صناديق طيور وأدوات جزارة مختلفة.

الزمان: خريف عام ١٩٩٠– ساعة مبكرة من الليل، الغروب.

أبعاد الشخصية الفلسطينية

فى حوار مشاهد المسرحية:

حين نعيد قراءة الحوار بين الشخصيات الثلاثة في مشاهد المسرحية نقف على معلومات مهمة توضح جوانب الشخصية الفلسطينية ليس فقط من خلال ملامح الشخصيات الثلاثة، أو الأشقاء الثلاثة، وإنما أيضا من خلال الشخصيات الأخرى المروى عنها في الحوار.

المشهد الأول:

يدور الحوار بين الشقيقين نعيم (٣٠عاما) وخالد (١٧عاما)، وهما يجلسان على صناديق فى المخزن. يبدأ خالد الحوار مع نعيم مستفسرًا عما ستفعله "لجنة العمل" في لقائها مع داود، فيجيبه بأنهم سيسألونه بعض الأسئلة.[١٨]

يرتب نعيم (عضو لجنة العمل) فى لقائه مع خالد لإحضار داود لمواجهتهم هذه الليلة لكى يتحدث داود بنفسه عن نفسه لأنه متهم بالتعاون مع الجيش، يحاول خالد الدفاع عن شقيقه داود ويقول لنعيم إن أبو رضوان هو الذى يشوه سمعة داود:

خالد: هذا كذب، كل هذه القصة، أبو رضوان سليل أجيال من اللصوص. إنه يشوه سمعة شقيقك، لقد سرق (أبو رضوان) خرافا ذات مرة من الوالد وأمسكنا به.

نعيم : أبو رضوان طعن الضابط فى يديه وأنا لا أتحدث عن كل الأمور الأخرى التي فعلها.

خالد : نعم، الآن، هو بطل القرية، وأنا لا أصدق أي كلمة يقولها. الانتفاضة لم تجعل منه إنسانا سويا.

نعيم : ما حدث قبل الضجة، انتهى. الآن كل واحد يظهر كم يساوى. أبو رضوان أظهر ما يريد وهناك من يصدقونه ... المشكلة أنه قال إنه رأى داود في باص ... الشاباك.

خالد: إنه يكذب !

نعيم: معه أشخاص آخرون.

خالد: تحدثت معهم ؟

نعيم : ليس بعد. سيكونون هنا هذا المساء.

خالد : ربما اعتقلوه ؟[١٩]

هكذا ظهرت شخصية أبو رضوان اللص، سليل اللصوص، الذي أصبح يأخذ صفة البطولة في القرية بعد أن طعن ضابطا في الجيش الاسرائيلي وينظر إليه خالد وأخرون على أنه مازال لصا وأن الانتفاضة لم تجعل منه انسانا سويا، وأنه خائن ويشوه سمعة المواطنين.

حملات القتل والاعتقال:

نتيجة لوشاية داود للشاباك، تهاجم قوات ضخمة من الجيش الاسرائيلي مسيرة أبناء الانتفاضة فى القرية وتقتل من تقتل وتعتقل بعض العناصر الوطنية وتُصيب الطفل نضال شقيق نعيم وخالد.

خالد: من حاولوا الهرب نكلوا بهم. وقفوا على الجبال المحيطة بالقرية وجعلوا الليل نهارا بقنابلهم الضوئية. ربما جاء ألف جندى وأربع طائرات مروحية أو أكثر، لقد أصابهم الجنون تماما.

نعيم: وعاطف؟ كيف مات ؟

خالد : لقد طرقوا باب بيته فقفز من النافذة، أطلقوا عليه النار ...مات... فى المكان[٢٠].

يتطرق الحوار بين خالد ونعيم إلى واقعة إصابة شقيقهما الصغير الطفل نضال إصابة بالغة برصاص قوات الجيش التى هاجمت مسيرة أبناء الانتفاضة فى القرية.

خالد: ...ما كان يجب أن نأخذ نضال... بسببنا.... ماكان.... قلت إنك ستحميه ... وعدت، وأنا صدقتك.

نعيم: كفى! لم يفكر أحد فى أن يحدث شيء لنضال... خالد...

لسنا نحن الذين أطلقنا النار على نضال.

اذهب لاحضار داود.

خالد: لا أستطيع، لا أستطيع ، أنا خائف. مثلما كنت عندما أخذت نضال... إلى البيت. لم أحك لك أبدا عن ذلك... بعد أن هربت، الجنود كانوا مثل المجانين... طلقات نار. غاز مسيل للدموع . أناس سقطوا ... صرخوا وأنا تجولت وسط الفوضى، لم أكثرت بشيء، مثل الإنسان الآلى، كان هناك شئ واحد فى رأسى ... أن أجد الولد... أن أجد الولد. فجأة وجدت مجموعة من النساء. وقفن هنا مثل الغربان السوداء. وعرفت. أسرعت، تدافعت لأسلك طريقى أخلت النسوة الطريق لى وهمسن "إنه شقيقه. إنه شقيقه" عندئذ رأيته، كان راقدا هناك، مثل الملاك الصغير. ملاك وثقب أحمر فى جبينه. رفعته كان ساخنا...عيناه... رفعته وشرعت فى السير. الجميع حتى الجنود الذين كانوا فى الشارع أطرقوا النظر. قبلته شممت رائحته ، شعر رأسه ...في البيت وقف أبي وأمى فى المدخل. صرخت أمى ونزعت شعرها، وأبى ... أخرج الولد من يدى بالقوة، أخذه ودخل وأغلق الباب من الداخل ليت نضال كان قد مات، إنه يرقد هناك طوال اليوم... يسيل من فمه لعاب وحالته سيئة[٢١].

كان عاطف أحد الضحايا القتلى من أبناء الإنتفاضة في القرية فى هجوم جيش الاحتلال على المسيرة، ولم يقدم الكاتب أي تفاصيل عن شخصيته، وحتى الطفل نضال ابن السابعة من عمره لم ينج من رصاص القتلة فى جيش الاحتلال، لقد أصابوه اصابات بالغة جعلته طريح الفراش وحالته سيئة.

أعمال لجان المقاومة:

في مواجهة حملات البطش والارهاب التي تقوم بها قوات جيش الاحتلال ضد شباب المقاومة تقوم لجان المقاومة، فضلا عن العمليات الفدائية، ببناء منازل للمتضررين من أبناء القرية الذين يهدم الجيش منازلهم وتنظيف القرية من الخونة المتعاونين مع جيش الاحتلال:

نعيم: سوف تنتشر اللجان هذه الليلة فى القرية.

خالد: أي انتشار؟ ماذا حدث ؟

– **نعيم:** ماذا حدث؟ أنت تعيش هنا ولا ترى شيئا؟ الاعتقالات. هبطوا علينا بقوة. كل شيء محطم، ذوو الخبرة معتقلون . يجب إقامة كل شئ من جديد. يجب أن نعتنى بهؤلاء الذين فجروا لهم بيوتهم. لا أحد يعتنى بهم، وهم محطمون. يجب أن يكون هناك اتصال بالقيادة... لهذا السبب جئنا إلى هنا اليوم[٢٢].

استجواب داود:

في نهاية المشهد الأول يذهب خالد لاحضار داود إلى المخزن، بعد أن طلب منه نعيم أن يتوخى الحذر ولا يدور بالقرب من منزله بل يرسل إليه طفلا يناديه[٢٣]، ثم يعود بعد نصف ساعة ويقوم بغسل الحائط الخلفى من بقع الدم التى لصقت به. يدخل داود متعبا غير حليق الذقن، يرتدى جاكيت بال ويسحب قارورة زيت زيتون كبيرة، ويقول لخالد إنه أحضرها لألبير رئيسه فى العمل، الذي يحب زيت الزيتون الفلسطيني بجنون[٢٤].

يدعو داود شقيقه نعيم للذهاب إلى منزله، ويتظاهر أمامه بكراهية اليهود:

– **داود :** لماذا نحن هنا ؟ تعالوا عندى فى البيت.

– **نعيم :** لا. هنا على ما يرام.

– **داود:** تعالى! تستحم، تأكل جيدا. نتحدث... وتذهب.

– **نعيم:** أنت تنسى وضعي.

– **داود:** ظلام. تعالى.

– **نعيم:** القذرون لم يذهبوا بعد للنوم. نبقى هنا.

– **داود :** ....من الأفضل أن تعيش كالعنزة فى الجبال ولا تذهب للعمل عندهم كل يوم. صدقنى.

– **نعيم:** حقا؟

داود: هؤلاء الاسرائيليون دخلوا حلقى ولا يريدون الخروج ولا راحة منهم[٢٥].
أحيانا أكون نائما فى السرير، وفى الخارج مطر وبرد، وأفكر فيك إذا ما كنت تحتاج شيئا ما قل لى... ملابس، طعام. نقود. تحتاج نقودا ؟ لا تخجل نحن أشقاء[٢٦].

يستجوب نعيم شقيقه داود حول تعاونه مع جيش الاحتلال والشاباك، ويحاول داود اتهام نعيم بأنه أخطأ عندما أخذ شقيقه الصغير نضال إلى المسيرة فأدى إلى إصابته الفادحة على أيدى جنود جيش الاحتلال، ولكن نعيم ينفى عن نفسه هذا الخطأ. ويؤكد أن خطأه هو أنه لم يتلق حتى الآن ردا على سؤاله: كيف عرف داود أن الجيش سيأتى لمداهمة المسيرة؟ ويسأله متى وكيف وأين قابل رئيس الشاباك آخر مرة ؟

بعد محاولات للتهرب والنفى يضطر داود للاعتراف:

- **داود** : أي عنيد أنت! هذا شئ بسيط، رأيتهم عندما جئت من العمل. هذا كل ما في الأمر[٢٧]. يلاحق نعيم داود بمزيد من الأسئلة ليستوضح علاقته بالشاباك وجيش الاحتلال فيسأله ويتهرب داود في ردوده للدفاع عن نفسه:
- **نعيم** : لماذا بقيت في تل أبيب في الأسبوع الماضي؟
- **داود:** في الاعتقالات. كان عندهم عيد، عمل كثير. نمت هناك...الآن أجبتك؟ بقيت ليلة واحدة فى تل أبيب. ممنوع، كان ذلك جيدا صدفة.
- **نعيم** : صدفة، هناك أناس يسمون ذلك اسما آخر.
- **داود** : جئت لكى تحذرنى؟ حقا شكرا جزيلا. لا تقلق علي. تستطيع ان تبلغهم ....
- **داود:** ماذا ... لمن ؟ ماذا تريد من حياتى؟
- **نعيم** : لاشيء... لاشئ[٢٨].

يتدخل خالد فى الحوار بين نعيم وداود، محذرا داود: هذا ليس لعبا. المسألة مسألة حياة أو موت! فيرد داود مندهشا! "ماذا؟ علام تتحدث؟ يقول نعيم لداود: "إنهم (فى اللجنة). يعتقدون انك متعاون!" ويطالبه بأن يراجع نفسه وكل قصته. لكن داود يحاول التملص من نعيم وأسئلة الشك والاتهام التى يوجهها إليه، ويطلب الخروج من المكان، لكن نعيم يصفعه محذرا ويطلب منه التعاون مع اللجنة:

- **نعيم:** أتعرف ماذا يحدث للمتعاونين؟ أتعرف كيف يموتون؟ أنا رأيت، أنت شقيقى، وأنا سأساعدك لاجتياز ذلك بسلام. أنا أسألك الأسئلة التي سوف يسألونها لك.

- **نعيم:** متى قابلت رجال الشاباك آخر مرة ؟
- **داود :** لا أعرف أحدا منهم.
- **نعيم :** المشكلة أنهم رأوك معهم قبل الاعتقالات بأسبوع.
- **داود :** أين؟ متى؟
- **نعيم :** هذا ما ستخبرني به[٢٩]
- **داود:** ولامرة، وليس فى اى مكان
- **نعيم :** وأنا أقول لك: في نابلس قبل أسبوعين[٣٠] .

وبعد محاولات فاشلة للتهرب يعترف داود بلقاء الشاباك في نابلس:

- **داود:** لقد أعطيتهم أسماءً، فى نابلس قبل أسبوعين.. قالوا إنهم سيقتلون خالد، وأنت سوف يقتلونك. كانوا أربعة خمسة محققين... ضغطوا علي. قالوا إنهم سيقتلونك. قالوا إنهم صوروا خالد وسوف يعتقلونه إداريا لمدة عام. قال أحدهم إنهم سيعيدون أمل ومعها الطفل إلى الأردن، لأن أسرتها من هناك. سيهدمون البيت لأنه بدون تصريح. شوشونى ... قالوا إنهم سيطلقون علي اسما قذرا، سيدورون معى فى القرية ويعتقلون أشخاصا، هكذا فقط ، كأننى الذى يدلهم ويتركونني بمفردى فى وسط القرية. ألقيت لهم بعض الاسماء[٣١] .

وينتهى المشهد الثاني بإخراج داود مسدسا من چاكتته ويصوبه إلى نعيم، يأمره بالجلوس على ركبتيه، ويأمر خالد بأن يربط نعيم برباط بلاستيك[٣٢] .

يبدأ المشهد الثالث، والأخير، من المسرحية بظهور نعيم مربوطا برباط من البلاستيك وداود ممسكا بمسدس وتخيم حالة من الهدوء المتوتر ويدور الحوار التالى بين خالد وداود:

- **خالد :** داود...
- **داود:** اسكت يا خالد!
- **خالد :** أسكت ؟

- **داود : نعم. واذهب إلى البيت.**

خالد: **أسكت؟ أسكت ؟ حتى الان ؟ أجلس هنا بهدوء وأرى من يموت أولا ؟ تواصلون.. أنت تدخل طلقة في رأسه، وأنت (لنعيم) ننتظر الشباب ليذبحوه، وأنا أسكت؟ ..... أنا ساكت. لماذا لا تتحدثون؟**

- **داود . اذهب إلى البيت يا خالد.**
- **خالد : أنا أريد حلا منكما... بدون دم.... يا دواد... المسدس!**
- **داود: هو سيقتلني.**
- **خالد : لن يموت أحد يا داود! هذا المسدس قد أخرجته ضد اخوتك.... هذا حكم بالاعدام. أعطنى المسدس** [٣٣] .

يأخذ خالد المسدس من داود ويلقيه، ثم يأخذ سكينا ليقطع قيد نعيم، لكن نعيم لا يمكنه من ذلك. نعيم وخالد ينتظران قدوم اللجنة للتحقيق مع داود، بينما ينتظر داود قدوم الشاباك لانقاذه من شقيقيه ومن لجنة المقاومة :

- **داود: ... فى كل مرة أخرج من البيت أحرص على إبلاغهم وإذا لم أتصل مرة أخرى ، خلال الوقت الذي حددناه، وهو تقريبا الآن، يأتون لمساعدتي.**
- **خالد : قبل أن تأتى إلى هنا أيضا؟**
- **داود: نعم. أخبرتهم لم أحلم أن يحدث هذا منكم لكنكم أردتم عمل تحقيقات لى...محاكمة... أن تقتلونى؟ ساغتصب كل القرية سأمر على كل بيت وأعلم عليه وأنا أعرفهم جميعا. الملثمون يدورون فى القرية سيتم القبض عليهم أو يهربوا مثل الفئران، عندما يسمعون أنهم قادمون. ربع ساعة ويحضرون إلى هنا. هذا هو الحل يا خالد.**
- **خالد : داود لا تحضرهم إلى هنا...**
- **داود . أحضرتهم. إنهم في الطريق. عصام سيحضرهم.... الآن كل شيئ واضح.**
- **نعيم:**(ساخرا) **نعم الآن كل شئ واضح لي. جيش الدفاع الاسرائيلي سيحميك. جميل** [٣٤] .

- **داود** : من الأفضل أن تعود سريعا إلى مغاراتك في الجبال. كان في استطاعتى أن أبقيك هنا حتى يحضروا ويأخذونك. بفضلي أنت لم تمت ولم تسجن. فى هذا العام .... كل ما فعلته ... بقيت شقيقك الكبير. حافظت عليك.. لم يمسوك. لماذا ؟ هل سألت نفسك؟ يا نمور الثورة "... (ضاحكا)، إننى أعرف أين نمتم، ماذا فعلتم، ومن قتلتم[٣٥].

ثمن الخيانة:

يخبر داود خالد بأن الاسرائيليين سوف يؤمنون له حياة طيبة فى اسرائيل بعيداً عن القرية، ويغرى خالد بأن يكون فى صحبته، أما نعيم قليذهب إلى الجبال:

- **خالد**: هكذا أنت راض ؟ ماذا ستفعل بعد أن يذهب الجيش؟
- **داود**: أنا على ما يرام.
- **خالد**: لن يستطيعوا الدفاع عنك.
- **داود**: سيخرجوننى بصورة دائمة... لقد وعدوا...بيت في إسرائيل. (نعيم يبصق عليه).
- **داود**: لم أحك لهم كل ما أعرفه، أردت أن أواصل الحياة هنا، حتى جئت أنت وقلبت كل شئ. الآن سأكون مدينا بسببك لكى أخرج من هنا. إهرب ! أنت لا تعرف أى ضائفة ستهبط على القرية اليوم.

يا خالد اذهب قبل أن تتحول هذه القرية إلى مستشفى مجانين

جهز أمل والوالدين . نحن سنغادر القرية.

- **خالد** : ونضال ؟
- **داود** : أيضا هو
- **خالد** : وأنا
- **داود**: أنت ستأتى معى إلى المكان الذى سيرتبونه لنا. بيت. أرض... عمل ... هه ؟ بعيدا عن كل هذا الزفت هنا – نعيش كبشر .
- **خالد**: ونعيم ؟
- **داود** : أما نعيم فليذهب إلى الجبال[٣٦].
- **خالد** : أنا لن أذهب معك حتى الباب. لم يسيئنى أنك اقترحت علي شيئا كهذا.

صلة داود بالجيش:

نعيم : ماذا تريد منا ؟ ليس لدينا ما نقوله. انظر يا خالد بماذا ربطنى؟ هل تعلم ما هذا يا خالد؟ .. (قام ومد يديه المربوطتين لخالد) الرباط من بلاستيك الجيش أتعرف يا خالد أن الإسرائيليين جاءوا إلى قريتنا عندما كان عمرى سبعة أعوام؟ أنا وعاطف أخذنا أولادا آخرين وكونا جيشا... أولاد. وهو لم يرغب فى الاشتراك معنا. جلس مع الجنود على الربوة. أعطوه حلوى حامضة. وهو غنى ورقص لهم...

وأنا كم خجلت ... منذ أن كنت طفلا لم أكف عن التفكير فى اليوم الذى سيكون نهاية لهذا الاحتلال وأنت يا أخى (يتجه إلى داود) بماذا تحلم ؟ بيت ؟ فى اسرائيل ؟ أنت ! إنسان منتهى. لماذا تنتظر؟ سمعتك تقترح على خالد.. بين زانيات ومدمنين سوف يضعونك، في أعفن شارع في حي فقير، خمسين عاما ستلعق لهم المؤخرة، لكنك ستظل عربيا باع نفسه من أجل المال، والعرب فى اسرائيل سوف يبصقون عليك. هكذا سيكبر ابنك؟ هكذا؟ مع الخجل؟[٣٧].

التكفير عن الخيانة !

يقترح نعيم على داود أن يصعد مئذنة المسجد الكبير فى القرية وينادى فى الميكروفون لتسمعه كل القرية، ويعترف للناس بما فعل: "أنا داود الذى سلم أبناءكم وفجر بيوتكم، أنا واشى وهذا عقابى" ويقفز بسرعة من المئذنة – وبدون ألم، لكى ينقذ اسمه، وإلاسيموت مثل الكلب ويظل ابنه مهانا.

يفك خالد القيد من يدى نعيم، ويطلب منه الهرب قبل أن يصل الجيش، لكن نعيم يهز رأسه رافضا[٣٨].

قتل الخائن:

أخيرا يعترف داود بالخيانة فينتظر قتله على أيدى رجال اللجنة عقابا له

نعيم: (يستل مسدسا مشابها لمسدس داود) هذا؟

(داود يتعرف على المسدس ويجلس لا حول له ولا قوة).

خالد : ماذا تفعل الآن ؟

داود: (منتبها) أنا سأموت. زملاؤه سيذبحونني[٣٩]

خالد : اخرج يا داود. اهرب وحدك على قدميك .. لديك مسدس.

داود: لا يجدى. إنهم ينتظرونني على الباب. في كل ركن. أنا باق هنا، ليقتلونني أمام أعينكم، هنا في المكان الذى أحضرتمونى إليه، وأنتم سترون، وسوف تضطرون لمواصلة الحياة. أنا خنت، والآن سأجلس وأنتظر عقابى...

خالد : (نعيم) أخرج وتحدث معهم.

نعيم: ليس هناك احتمال ... (يبكى تقريبا) أنا لا أستطيع ... أنا لا أستطيع...

خالد: تعالى يا داود. أنا سأخرجك من القرية .

يخرج خالد المفتاح من جيبه ويتجه مع داود للخروج وإذا بطرق شديد على الباب ، يزداد الطرق شدة، يتجمد الاثنان ويتبادلان النظرات...

يستل خالد سكينا ويحضن داود بقوة ويطعنه بقوة خلال الحضن. يسقط داود ميتا. ويزداد الطرق شدة على الباب. ينادى نعيم : افتح الباب يا خالد[٤٠]

وتنتهي المسرحية بقتل داود الخائن المتعاون مع الشاباك والجيش الاسرائيلى بطعنة سكين بيد شقيقه الأصغر خالد قبل وصول لجنة المقاومة وجيش الاحتلال الاسرائيلي.

الشخصية الفلسطينية فى مسرحية "الخليل" "חברון":

تتناول مسرحية الخليل "**חברון**"[٤١] للكاتب تامير جرينبيرج[٤٢] الصراع بين الفلسطينيين والاسرائيليين فى مدينة الخليل، وتدور حبكة هذه المسرحية الشعرية حول مواجهات عنيفة بين مستوطنين يهود وجنود من الجيش الاسرائيلى وبين فلسطينيين من المدينة.

تبدأ المسرحية بأسلوب كلاسيكي، بمشهد استهلالي مثير تظهر فيه شخصيات طبيعية غير بشرية: الأم الأرض، يوم ربيع ويوم غفران وشخصيات أخرى غير واقعية تمثل الطبيعة والأسطورة.

"تقول الأم الأرض

خلقنى الرب لأن أكون مرعى حياة، ولأنبت حقول قمح ينحنى برفق مع الرياح

خلقت لأن أكون سريرًا للعشاق، وسادة للأحلام للشعراء، ولكن منذ شهرين وبلا هوادة.

أضم أمواتا وأمواتا آخرين في حضني

يُحضرون إليّ أمواتا لم تُقبّل شفاههم بعد امرأة. وآخرون، بملابس سوداء مهلهلة.

يحضرون إليّ أمواتا عيونهم ملتهبة.

ومثلهم أيديهم لاتزال ضاغطة على المسدس"

الأم الأرض تحتج هنا على الإخلال بالنظام الطبيعي الساحر الذى يحدثه الصراع الدموي، ويتمثل هذا الإخلال في قتل الرجال الشبان بدلا من أن يعيشوا الحب والتكاثر، فتتحول الأرض من وظيفتها الطبيعية التى خلقها الله من أجلها، وهي أن تكون مرعى حياة وتنبت حقول القمح، إلى مقابر تدفن فيها الأموات من اليهود وآخرون من الفلسطينيين لاتزال أيديهم ضاغطة على السلاح.

وفي نهاية المسرحية تعاقب الأم الأرض مدينة الخليل بهزة أرضية وترفض قبول جسامين القتلى من طرفى الصراع، الاسرائيليين والفلسطينيين[٤٣].

بعد هذا المشهد الاستهلالي من الشخصيات الطبيعية غير البشرية تبدأ المسرحية بطلقة نار يطلقها خليل بن كنعانى ، رئيس بلدية الخليل، تجاه بوعاز ميمون ، الحاكم العسكرى الاسرائيلي، فلا تصيبه ولكنها تقتل ابنه الصغير يوتام. تتلاحق الأحداث الدموية فينتقم إيلي آف، الابن البكر للحاكم العسكري، بقتل طفل خليل الرضيع ، ثم يقتل خليل إيلى آف.

هكذا وصلت سلسة العنف في الخليل، التي بدأها خليل، إلى قمتها بصراعه مع إيلى آف، الذى يعتمر" الكيباه " (الطاقية اليهودية)، ويزداد العداء بين الشعبين المقيمين فى المدينة[٤٤]

وإلى جانب الصراع الرجالي العنيف يبرز الكاتب حزن الأمهات الثكالى اللائي فقدن أولادهن، فتحمل رانيا زوجة خليل، وراحيل زوجة ميمون، ولديهما الذبيحين على أذرعهن

احتجاجا. وفى مواجهتهما الأم الأرض، التى ترفض استقبال الأبناء في أحضانها، لأنهم لم يدفنوا فى موعد مناسب ، وبذلك تعطى الاشارة لهدم المدينة. وفي المسرحية حبكة ثانوية أخرى على طريقة نعيم ودافى" فى مسرحية "نعيم" المأخوذة عن رواية "العاشق" لـ أ.ب يهوشواع تعبيرا عن أمل الأديب الاسرائيلى فى حدوث تقارب وود بين الشباب من العرب واليهود. فيشير كاتب مسرحية الخليل إلى علاقة تتكون بين أيلة ميمون ومهدى كنعاني ، أولاد الأسر المتصارعة : أيلة بنت حاكم الخليل العسكري، و مهدى ابن رئيس المدينة العربى ويبدو مشهد اللقاء بينها قرب انتهاء المسرحية مؤثرا : مهدى يقف فى الفناء أمام منزل ميمون، ينظر إلى النافذة...يشع نور من النافذة وتطل أيلة على مهدى.

صورة الفلسطيني في المسرحية:

قدم لنا الكاتب الاسرائيلى تامير جرينبيرج طرفي الصراع فى المسرحية كأنه صراع بين أطراف متألفة فى المدينة يهودا وعربا، ويفجر خليل كنعانى، العربى، الصراع مع الجانب اليهودى بطلقة نار يطلقها على اليهودى بوعاز ميمون، ، فتخطئ الطلقة هدفها وتُصيب ابنه الصغير يوتام. والواقع هو أن مبادرة خليل باطلاق النار لم تنجم عن روح عدوانية وإنما جاءت للانتقام من الحاكم العسكرى الإسرائيلي بوعاز ميمون، ردا على اهانة جنوده، من جيش الاحتلال لأبيه. ومن هنا تصاعد الصراع من الجانين، بين قوى الاحتلال وسكان المدينة. ومن ثمّ تبدو ملامح الشخصية الفلسطينية متمثلة في خليل، شخصية قوية أبية رافضة للاحتلال وغطرسة المحتلين ولا تتوانى عن استخدام القوة عند الإحساس بالإهانة.

مسرحية "يولسس على زجاجات"יוליסס על בקבוקים

صدرت مسرحية "يوليسس على زجاجات" للأديب والكاتب الاسرائيلي جلعاد عفرون (١٩٥٥-٢٠١٦) في عام ٢٠١١ ونالت عدة جوائز بعد عرضها في العام نفسه، ومنها:

- جائزة المسرح الاسرائيلى لأفضل مسرحية لعام ٢٠١٢.
- جائزة المسرح الاسرائيلى لجلعاد عفرون كأحسن مسرحي لعام ٢٠١٢.
- جائزة نسيم آلونى لجلعاد عفرون لعام٢٠١١.

تحكى المسرحية قصة مدرس فلسطيني من غزة، متخصص في الأدب، صنع عوامة من قوارير المياه وأبحربها إلى غزة لكى يقوم بتدريس الأدب الروسي هناك، رغم الحصار الذى فرضه جيش الاحتلال الاسرائيلي على قطاع غزة، وهو على قناعة بأن هذا الأدب بالذات حيوى للجميع، وأيضا لسكان غزة الذين ليس لديهم أى شئ، ويصر على تدريس الأدب الروسى، وليس الأدب الفرنسي الراقص، ولا الأدب الامريكي المشغول بذاته، لأن الأدب الروسى يجعل الريح تطيرعاليا.

ألقى جنود الجيش الإسرائيلى القبض على المدرس حيث ساورهم الشك في مهمته، ورأوا أن هناك نية أكثر تهديدا وراء عمله المتحضر هذا وأنه ليس من المحتمل أن هذا ما كان يقصده بالفعل.

ألقى الجنود القبض على المدرس الفلسطيني وأطلقوا عليه اسم "يوليسس"، وهو الاسم اللاتينى (ونطقه بالانجليزية أوريساوس) بطل أوديسة هوميروس، وأودعوه السجن.

عين المحامى ايزاكوف للدفاع عن المدرس الفلسطيني الأسير. ودار الحوار فى معظم المسرحية بين المحامي الاسرائيلي والمدرس الفلسطيني. وحاول محامي الدفاع الإسرائيلي اقناع الأسير بأن يتنازل عن هدفه، وهو الوصول إلى غزة لكى يطلق سراحه فرفض، ثم اقترح عليه أن يعترف بأنه ليس عاقلا، لكن المدرس غير مستعد لأن يتم انقاذه بهذه الحجة. إنه يصر على ان الزاد الروحى الذى أحضره حيوي للغزاوية. وانه لا يتخلى عن مسئوليته ، فليحاكموه على تهريب الأدب الكلاسيكي المحظور.

وأخيرا تضطر قوات الاحتلال لاطلاق سراح "الارهابي الأدبى" الموجود فى الزنزانة بعد ان استنفدوا الإجراءات الإدارية وفي نهاية المسرحية يظهر المحامى إيزاكوف وهو يتناول العشاء مع زوجته وزميله المحامي، ويصله نبأ موت يوليسس، الذى حاول مرة أخرى الوصول إلى غزة بطائرة شراعية صنعها وطار بها فسقط قتيلا[٤٥].

الشخصية الفلسطينية فى المسرحية:

تعتبر مسرحية "يوليسس على زجاجات" واحدة من أهم المسرحيات التى كتبت عن الصراع الاسرائيلى الفلسطيني وهى ثمرة قلم أحد أهم كتاب الدراما الاسرائيلية من ناحية الموضوعات التى يتناولها، ومن ناحية التأليف المسرحى غير العادي، إنها الدراما العبثية الشعرية السياسية الدقيقة والجريئة التى تجسد بصورة ثاقبة الخلل الخطير الانساني والأخلاقى الذى يعيشه المجتمع الاسرائيلى فى أعقاب حالة الاحتلال المستمر وتجريد الفلسطينيين من الصفات الانسانية. لقد نجح عفرون فيما فشل فيه كتاب آخرون، فى أمر يضع أمامنا مشهدًا يكشف بلا رحمة التآكل والعفن العميق في المجتمع الاسرائيلي[٤٦].

على خلفية الحصار الاسرائيلى لغزة جاءت مسرحية "يوليسس على زجاجات" وبطلها الفلسطيني مدرس الأدب، الذى يريد أن ينقل إلى أهله في غزة، الذين يُعانون ويلات الحصار الإسرائيلي، زادا روحيا، شخصية تتسم بالاصرار والقوة والثبات على المبدأ، ويسعى لتحقيق هدفه مهما كلفه من تضحيات، لم يضعف ولم يستسلم لإرادة السجان وإغراءاته، وأصر على توصيل الزاد الروحى إلى أهله فى غزه، ولم ييأس عندما فشلت محاولته للدخول إلى غزة بحرا، فوق قوارير زجاجية، فصنع طائرة شراعية ليصل إلى غزة جوا ولكنه لقى حتفه هذه المرة.

الخاتمة:

بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ والانتفاضتين الفلسطينيتين، الأولى والثانية، تغيرت صورة الفلسطينى فى الذهنية الاسرائيلية إلى حد كبير، فلم يعد الفلسطينى ذلك العامل البسيط الضعيف الذى ينصاع لإرادة الاسرائيلى ويرضخ لأوامره ويستسلم لبطش المحتل الاسرائيلي وسياسة القمع والقتل التى تنفذها قوات جيش الاحتلال ضد الأطفال الفلسطينيين وذويهم. أصبحت الشخصية الفلسطينية شخصية قوية عنيدة تواجه المحتل بقوة وشجاعة وتصرعلى تحقيق أهدافها ضد المحتل، ورغم بساطة السلاح الذى يتسلح به الفلسطيني في مواجهة قوات الاحتلال المدججة بكل أنواع الأسلحة الحديثة، لم يتقهقر الفلسطيني فى المواجهة

بل أدان الصراع مع المحتل ببسالة وواصل طريق النضال الشعبي والانتقام من القتلة. وقد انعكست هذه المظاهر والملامح في العديد من المسرحيات العبرية المعاصرة التي تناولت الانتفاضة الفلسطينية ومنها ماعرضناه فى هذه الدراسة والتى نخرج منها بالنتائج التالية:

أولا: احتلت الشخصية الفلسطينية مركز الصدارة فى العديد من المسرحيات العبرية، وأصبحت الشخصية الرئيسية المحورية.

ثانيا : لم تعد الشخصية الفلسطينية شخصية العامل الضعيف المسكين الذليل مطأطأ الرأس أمام صاحب العمل الإسرائيلي.

ثالثا : ظهرت الشخصية الفلسطينية شخصية شجاعة قوية تتسم بالندية والإصرار على الانتقام من المحتل القاتل.

رابعا : برزت شخصية الفلسطينى الوطنى الذى لا يتوانى عن قتل شقيقه الذى خان مسيرة النضال الوطني الفلسطيني وتعاون مع المحتل.

خامسا : اتسمت الشخصية الفلسطينية بالإصرار والثبات على المبدأ لتحقيق أهداف النضال الوطنى وخاصة طرد قوات الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية كحق مشروع للشعب الفلسطيني.

سادسا: تأكدت صفات التضحية والإباء والعطاء فى الشخصية الفلسطينية مهما تعرضت لصنوف البطش والعنف من جانب قوات الاحتلال.

سابعا : الإصرار على مواصلة النضال حتى تحقيق النصر.

الهوامش والمراجع:

[١]- "اتفاقيات أوسلو: سلسلة اتفاقيات وقعت بين اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية كجزء من عملية السلام بين اسرائيل والفلسطينيين. الاتفاق الشامل للوصول إلى حل دائم لمجمل القضايا العالقة في النزاع الاسرائيلي الفلسطيني وبمقتضاه اعترفت المنظمة بدولة اسرائيل واعترفت اسرائيل بالمنظمة كممثل للشعب الفلسطيني.تم توقيع الاتفاق الأول في واشنطن في ١٣ سبتمبر ١٩٩٣. ووقع اتفاق أوسلو الثاني في طابا بمصر، ثم وقع بعد ذلك رسميا في البيت الأبيض في واشنطن في ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥.

[٢]- **פרופי דן אוריין، יהודים וערבים בתיאטרון הישראלי אוניברסיטת תל אביב.**

[٣]- **חנוך לוין. מה איכפת לציפור. מלכת האמבטיה הוצאת. 1987.**

[٤]- **שם עמי.80.**

[٥]- **שם. עמי.81، 82.**

[٦]- أ.د محمد فوزي ضيف، الانتفاضة الفلسطينية في مسرحية "قتل" للأديب حانوخ ليفين. رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، المجلد الخامس والعشرون، العددان الثالث والرابع ٢٠١٠، ص ٢٨.

[٧]- **חנוך לוין. "רצח". מחזה בשלוש מערכות ואפילוג. ארכיון התיאטרון הישראיל. 1977. עמי 3، 4.**

[٨]- **שם. עמי. 6.**

[٩]- **שם. עמי.16.**

[١٠]- **שם. עמי 18.**

[١١]- **חנוך לוין، שם. עמי21 .**

[١٢]- أ.د. محمد ضيف، المرجع السابق، ص ٤٦

[١٣]- المرجع السايق ص ٤٨.

[١٤]- **חנוך לוין، שם. עמי21 .**

[١٥]- **שם. עמי.34.**

[١٦]- **אילן חצור** كاتب مسرحي اسرائيلي، ولد عام ١٩٦٤، كتب مسرحية ملثمون (**רעולים**) عندما كان طالبا في جامعة تل أبيب وعرضت المسرحية لأول مرة في مهرجان المسرح في عكا عام ١٩٩٠، وفازت بجائزة العرض، وتُرجمت إلى الانجليزية والاسبانية والألمانية والعربية، وعرضت أكثر من مائة مرة في داخل اسرائيل وخارجها، ثم عرضت من جديد في عام ٢٠١٧، وقد صدرت المسرحية عن دار النشر "**אור עם**" في عام ١٩٩١.

[١٧]- **פרופ דן אוריון. יהודים וערבים בתיאטרון הישראיל. שם.**

[١٨]– **אילן חצור רעולים. אור עם. מהדורה ראשונה. 1991ץ עמי 7.**

[١٩]– **שם. עמי 9 .**

[٢٠]– **שם. עמי 12، 13.**

[٢١]– **שם. עמי 12، 13.**

[٢٢]– **שם. עמי 14.**

[٢٣]– **שם. עמי 15.**

[٢٤]– **שם. עמי 17.**

[٢٥]– **שם. עמי 22، 21.**

[٢٦]– **שם. עמי 24.**

[٢٧]– **שם. עמי 26.**

[٢٨]– **שם. עמי 27.**

[٢٩]– **שם. עמי 30.**

[٣٠]– **שם. עמי 31.**

[٣١]– **שם. עמי 44.**

[٣٢]– **שם. עמי 49.**

[٣٣]– **שם. עמי 51، 50.**

[٣٤]– **שם. עמי 52، 51.**

[٣٥]– **שם. עמי 53.**

[٣٦]– **שם. עמי 54، 53.**

[٣٧]– **שם. עמי 54، 53.**

[٣٨]– **שם. עמי 56، 55.**

[٣٩]– **שם. עמי 57.**

[٤٠]– **שם. עמי 58.**

[٤١]– **שם. עמי 60، 59.**

[٤٢]– **חברון، מחזה، תמיר גרינברג، הקיביץ המאוחד، תל אביב. 2007.**

[٤٣]– **תמיר גרינברג:** شاعر. كاتب مسرحي ومهندس اسرائيلي، رئيس الكلية التكنولوجية شنيكر للمهندسين ورئيس قسم الهندسة في مدرسة الهندسة والتشكيل "شنيكر. ترجمت قصائده للغات عديدة وصدرت في دوريات في أنحاء العالم.

ولد في تل أبيب في ١٥ سبتمبر ١٩٥٩، وفاز بجوائز عديدة منها جائزة رئيس الحكومة للأدباء العبريين في عام ٢٠٠٠ وفي عام ٢٠٠٩، وفاز بجائزة يهودا عميحاي للشعر العبري في عام ٢٠١٢. .

[٤٤]- פרופי ישראל המאיר، חברון، תמיר גרינברג، תל אביב، אתר התיאטרון הישראלי، החוג לאמנות התיאטרון، אוניברסיטת תל אביב.

Arts. M.tau.ac.il/the

٤٥- שם.

٤٦- שם.